أصل العثمانيين وزحفهم من بلاد تركستان.

يرجع أصل العثمانيين إلى قبائل الأتراك، وهي عدة طوائف ؛ أهمهم الغز أو الأوغوز الذين ينتمي إليهم السلاجقة والعثمانيون، الذين سكنوا المناطق الواسعة في آسيا بين سيبيريا شمالا إلى إيران وباكستان والهند والتبت في الجنوب، فهي واقعة بين الصحراء المنغولية شرقا إلى بحر قزوين غربا، ومعنى تركستان هي البلاد الناطق سكانها باللغات التركية، والتي كانت منطلق كل الهجرات التركية في نهاية العصر القديم وبداية العصور الوسطى، وتجدر الإشارة إلى أن دولة تركستان الوم تختلف عن بلاد تركستان في التاريخ الوسيط والقديم، وذلك أن تركستان منطقة جغرافية واسعة ليس لها حدود واضحة كانت تربط أوروبا بشرق آسيا لمئات من السنين، وكان العديد من طرق التجارة القديمة يخترق المنطقة بما في ذلك طريق ماركو بولو الذهبي . فتركستان على العموم ثلاثة أقاليم كبرى:

تركستان الغربية: تقع بين بحر قزوين وسلسلة جبال تيان شان. وتضم إليها كلا من جمهوريات كَازاخْستان وطاجكستان وتَرْكمانستان وكورجستان وأوزبكستان. وأهم المدن فيها هي طَشْقَندْ وألما آتا وقارْاغانداَ وبشكيك ودوشنبي وسَمَرَقَندْ.

تركستان الصينية: تسمى كذلك تركستان الشرقية، وتقع في قلب قارة آسيا، وتمتد شرقا من تركستان الغربية إلى صحراء جوبي والتبت. وتحد هذه المنطقة سلسلة جبال تيان شان من الشمال وجبال كونلون من الجنوب، وتركستان الصينية التي تمثل جزءا من إقليم سينكيانج الصيني ذات مناخٍ قاس جاف، وسكانها من أصل تركي ويسمون اليغوريين، ويعيشون على الزراعة وتربية الحيوانات الأليفة والتجارة، وغالبيتهم من المسلمين، وأهم المدن هي أورومجي وهَاميْ وكَاراميْ وكَاشيْ وينْينغْ.

تركستان الأفغانية: يحدها شمالا نهر آمو داريا (أوكْسَسْ) وتركستان الغربية من جهة الشمال الغربي. وقد حكم زعماء الأوزبك هذه المنطقة لفترات طويلة، قبل أن تستحوذ عليها أفغانستان. وهذا الجزء من تركستان الجنوبية يكون المقاطعة المسماة مزار شريف .والجبال العديدة

في منطقة تركستان الأفغانية غنية بالنحاس والحديد والرصاص والذهب. وينحدر السكان بشكل أساسي من أصول فارسية وأوزبكية وكذا تركية[1] .

الملحق المرفق 01: خريطة توضح معالم وحدود بلاد تركستان



المصدر: مجلة المجتمع الرقمية

أما العثمانيون فينتمون إلى قبيلة قايي[2] إحدى القبائل التركية التي كانت تعيش في تركستان بأواسط آسيا حيث مناطق الإستبس الرعوية، وهم جنسٌ يتسمون بقوة الأجسام وبراعة القتال والأنفة، ويفتقرون إلى الثقافة والحضارة، ويعيشون حياة قبلية ويتبعون زعماءَهم في نظام عشائري بدوي[3].

(1) أحمد الشويخات وآخرون، الموسوعة العربية العالمية، أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 2004، أنظر مادة تركستان.

(2) كلمة قايي تعني "الشخص الذي لديه القوة والسلطة".

(3) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ الإسلامي، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص ص12، 13.

وارتبط ظهور العثمانيين في التاريخ بالغزو المغولي الذي اجتاحَ بلادَ الشرق الإسلامي؛ ومنها تركستان، واضطرت بعض قبائل الترك إلى الرحيل أمام هجمات المغول الوحشية، ومذابحهم الجماعية لشعوب هذه المناطق، ووصلتْ إحدى قبائل الغز إلى هضبة الأناضول التي تعرف أيضا بآسيا الصغرى (وهي تمثل الآن الجانبَ الأكبر من الشطر الآسيوي لدولة تركيا الحالية) [(4)].

يعتبر أرطغرل بن سليمان شاه من أشهر القادة الأوغز، الذي ارتحل مع عشيرته إلى مدينة إرزينجان، وكانت مسرحا للقتال بين السلاجقة والخوارزميين، فالتحق بخدمة السلطان علاء الدين سلطان قونية، إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة السلاجقة العظام، وسانده في حروبه ضد الخوارزميين، فكافأه السلطان السلجوقي بأن أقطع عشيرته بعض الأراضي الخصبة قرب مدينة أنقرة[(5)]، وظل أرطغرل حليفا للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية، في المنطقة المعروفة باسم" سوغوت "حول مدينة أسكي شهر، حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة إلى جانب إمارات تركمانية سبقتها إلى المنطقة.

الدولة السلجوقية: أقامتها أسرة تركية إسلامية حكمت إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد. تنسب إلى سلجوق زعيم عشائر الغز التركمانية، التي هاجرت واستقرت في بخارى. استولى أحد أحفاد سلجوق وهو طغْرل بك على إقليم خراسان سنة 429هـ، 1037م .ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء استدعى الخليفة العباسي ببغداد، القائم بأمر الله طغْرل بك لإنقاذه من

---

(4) محمد عبد الحميد الرفاعي، قيام الدولة العثمانية واتساعها، موقع طريق الإسلام، 27/ 11/ 2013.
https://ar.islamway.net/article/19141
للمزيد وتفاصيل أكثر راجع: يحي بن حمزة الوزنة، مدينة مؤو والسلاجقة حتى عصر سنجر، مؤسسة KITAB INC للنشر.

(5)عبد القادر توفيق الشلبي الطرابلسي ، الدر الحسان في فضائل سلاطين عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص100 وما يليها.

البويهيين. فزحف طغرل بك على بغداد وقضى على البويهيين، ونصبه الخليفة ملكا وسلمه السلطة الزمنية على البلاد عام447 هـ، 1055م[6].

الملحق المرفق رقم 02: قائمة السلاطين السلاجقة

اللقب	الميلاد	الوفاة	اسم الحكم
ركن الدنيا والدين	990	4سبتمبر 1063	طغرل بك (1037–1063)
ضياء الدين عضد الدولة	20يناير 1029	15ديسمبر 1072	ألپ أرسلان (1063–1072)
معز الدين جلال الدولة	1055	19نوفمبر 1092	ملك شاه الأول (1072–1092)
ناصر الدنيا والدين	1087	1094	محمود الأول (1092–1094)
ركن الدنيا والدين	1181	1105	بركياروق (1094–1105)
ركن الدنيا والدين جلال الدولة	?	?	ملك شاه الثاني (1105)

[6]توفي مَلكْشاه سنة 485هـ، 1092م، ونتج عن هذا التنازع بين أبناء الأسرة السلجوقية؛ فاستقل سليمان بن قطلمش بآسيا الصغرى، وأسس فيها سلطنة السلاجقة الروم، والتي شهدت مولد قوة الأتراك العثمانيين، واستطاع الأتابكة القائمون على أمر تربية أبناء السلاجقة انتزاع مقاليد الأمور من السلاجقة وأسسوا دويلات عرفت باسم الدويلات الأتابكية، ومن أشدها دولة الأتابك عماد الدين زنكي في الموصل، وهي التي اشتهرت بالجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.، أنظر: حمد محمد مهدي الشويخات وآخرون، مرجع سابق، أنظر مادة الدولة السلجوقية.

غياث الدنيا والدين	جانفي 1082	أفريل1118	(1105–1118)
مغيث الدنيا والدين جلال الدولة	1105	1131	محمود الثاني (1118–1131)
معز الدنيا والدين عضد الدولة	1085	8ماي 1157	سنجر (1118–1153)
غياث الدنيا والدين	?	?	داوود (1131–1132)
ركن الدنيا والدين	1109	نوفمبر 1134	طغرل الثاني (1132–1134)[7]
غياث الدنيا والدين	1108	13سبتمبر 1152	مسعود (1134–1152)
معين الدنيا والدين	?	1160	ملك شاه الثالث (1152–1153)
ركن الدنيا والدين	1128	ديسمبر 1159	محمد شاه (1153–1159)
غياث الدنيا والدين	?	1161	سليمان شاه (1159–1161)
معز الدنيا والدين	?	1176	أرسلان شاه (1161–1176)
ركن الدنيا والدين	1168	1194	طغرل الثالث (1176–1191)

مظفر الدنيا والدين	؟	1191	قزل أرسلان (1191)
ركن الدنيا والدين	1168	1194	طغرل الثالث (1192–1194)

موقعة ملاذكرد: وقعت معركة ملاذكرد بين جيش السلاجقة المسلمين بقيادة السلطان ألب أرسلان، وجيش الدولة الرومية بقيادة إمبراطورها رومانوس عام 463هـ، 1071م. وترجع أسبابها إلى تمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان في مدة قصيرة من الاستيلاء على معظم البلاد النصرانية المجاورة مثل: جورجيا وبلاد الأرمن. وعمل على نشر الإسلام في هذه المناطق، فكان طبيعيا أن يغضب هذا إمبراطور الروم رومانوس (يوجينس)، فصمم على غزو الشام. فجمع جيشا جرارا يضم أخلاطا من الشعوب النصرانية، تضم الروس والفرنسيين والبلغاريين واليونانيين والجورجيين، وسار بهم إلى أن عسكر في نواحي ملاذكرد بالقرب من مدينة أخلاط في آسيا الصغرى[7].

توفي مَلكْشاه سنة 485هـ، 1092م، ونتج عن هذا التنازع بين أبناء الأسرة السلجوقية؛ فاستقل سليمان بن قطلمش بآسيا الصغرى، وأسس فيها سلطنة السلاجقة الروم، والتي شهدت مولد قوة الأتراك العثمانيين، واستطاع الأتابكة القائمون على أمر تربية أبناء السلاجقة انتزاع مقاليد الأمور من السلاجقة وأسسوا دويلات عرفت باسم الدويلات الأتابكية، ومن أشدها دولة الأتابك عماد الدين زنكي في الموصل، وهي التي اشتهرت بالجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

كان سليمان أحد أبناء القبيلة يهيم بقبيلته في آسيا الصغرى بعد موقعة ملاذكرد، وقتل سليمان عند مشارف حلب، وترددت القبيلة بين العودة لموطنها الأصلي، ومواصلة المغامرة، وانقسمت القبيلة في ذلك، فاختار ابنه أرطغرل مواصلة السير، فدخل آسيا الصغرى والتحق

[7] المرجع نفسه، أنظر مادة ملاذكرد.

بخدمة الأمير السلجوقي علاء الدين الثاني الذي كان يواصل الحرب ضد البيزنطيين، وساعده في هذا الكفاح، فأعطاه السلطان السلجوقي المستنقعات الواقعة على الحدود البيزنطية، وترك له توسيع ممتلكاته على حساب البيزنطيين، فاتخذ شكور عاصمة له، وأصبح ابنه عثمان ملازما له في حروبه وأعماله الإدارية. وفي هذه الأثناء كانت الحروب الصليبية مشتعلة فشغلت جانبا كبيرا من نشاط البيزنطيين مما أتاح فرصة الاستقرار للعثمانيين.

وفي خضم هذا الحراك السياسي الكثيف؛ علا شأن أرطغرل لدى السلطان علاء الدين بعد أن أثبت إخلاصه للسلاجقة، وأظهرت عشيرته كفاءة قتالية عالية في كل معركة ووجدت دوما في مقدمة الجيوش وتم النصر على يدي أبنائها فكافأه السلطان بأن خلع عليه لقب "أوج بكي"، أي محافظ الحدود، اعترافا بعظم أمره، غير أن أرطغرل كان ذا أطماع سياسية بعيدة، فلم يقنع بهذه المنطقة التي أقطعه إياها السلطان السلجوقي، ولا باللقب الذي ظفر به، ولا بمهمة حراسة الحدود والحفاظ عليها؛ بل شرع يهاجم باسم السلطان ممتلكات البيزنطيين في الأناضول، فاستولى على مدينة أسكي شهر وضمها إلى أملاكه، واستطاع أن يوسع أراضيه خلال مدة نصف قرن قضاها كأمير على مقاطعة حدودية، وتوفي في سنة 1281م عن عمر يناهز التسعين عاما، بعد أن خلع عليه لقب كبير آخر هو "غازي"، تقديرا لفتوحاته وغزواته[8].

كان من مآثر السلاجقة تمسكهم الشديد بالإسلام، وميلهم القوي إلى أهل السنة والجماعة. ووصل المسلمون في عهدهم إلى درجة عظيمة من التقدم في كثير من علوم الحضارة، وازدهرت في عهدهم الفنون بجميع أنواعها.

علاقة القبائل الأوغوز والقايي بالسلاجقة

تدخل الاتراك الأوغوز في الصراع القائم بين سلاجقة الروم والبيزنطيين، فناصروا السلاجقة، ولقد تمكن السلطان عثمان بن أرطغرل من الاستيلاء على بعض القلاع والحصون

[8] نواف أحمد عبد الرحمن، الموجز في التاريخ الإسلامي، دار المناهل، د.م، 2015، ص2017.

البيزنطية في وسط آسيا الصغرى، فكافأ علاء الدين السلجوقي عثمان بأن رفعه إلى مرتبة الأمراء، وسمح له بالتوسع على حساب البيزنطيين[9].

حارب أرطغرل إلى جانب علاء الدين السلجوقي في أكثر وقائعه الحربية ضد المغول والدولة البيزنطية، فمنح السلطان علاء الدين أراض واسعة لأرطغرل وقومه، وفتح أرطغرل بلدة (صيراجق) التابعة للقسطنطينية، وسميت: سلطانية، وفتح بلدة سوغوت، التي تعتبر مهد الدولة العثمانية في الأناضول، وحرر قلعة كوتاهية السلجوقية من المغول، وظل أرطغرل يقاتل ضد المغول والروم البيزنطيين إلى جانب علاء الدين السلجوقي حتى تجاوز سن الثانية والتسعين، وقيل السادسة والتسعين، وقيل أنه ولد سنة 587 هـ/ 1191م، وتوفي سنة 680هـ/ 1281م، فدفن في بلدة سغوْت (Sügüt) [10].

نهاية سلاجقة الأناضول:

بعد وفاة أرطغرل قام السلطان علاء الدين السلجوقي بتنصيب الأمير عثمان مكانه، فتابع طريق الجهاد بشجاعة خارقة، فكافأه السلطان علاء الدين، وكرمه بإعطائه شارات السلاجقة، وهي الراية البيضاء والخلعة والطبل، ومنحه استقلالا، ولقب بك، وقرر منحه ما يفتحه من أرضي البيزنطيين وغيرهم ابتداء من سنة 688 هـ/ 1289م، وسمح له بأن يضرب السكة النقدية باسمه، وبذكر اسمه بعد اسم السلطان علاء الدين من على منابر المساجد والجوامع السلجوقية.

ونشأت صداقة بين عثمان الأول، والقائد البيزنطي كوسه ميخائيل حاكم قلعة (خرمن قايا) الذي أسلم، وأنقذ عثمان من مؤامرة بيزنطية دبرت له في وليمة عرس بيزنطي، وفي تلك

---

[9] أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991، ص128.

[10] محمود السيد الدغيم، مختصر التاريخ العثماني منذ سليمان شاه حتى محمد الفاتح، 13/ 09/ 2006.
https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=82112

الأثناء هاجم الخبيث قازان المغولي المدن السورية، ومدينة قونية، فاحتلها سنة 699هـ/ 1299م، وأنهى دولة سلاجقة الأناضول[11].

سياسة عثمان بن أرطغرل وخلفاؤه اورخان ومراد الأول وبايزيد الداخلية والخارجية

بعد أرطغرل تولى زعامة الإمارة ابنه البكر **عثمان**، فأخلص الولاء للدولة السلجوقية على الرغم مما كانت تتخبط فيه من اضطراب وما كان يتهددها من أخطار، أظهر عثمان في بداية عهده براعة سياسية في علاقاته مع جيرانه، فعقد تحالفات مع الإمارات التركمانية المجاورة، ووجه نشاطه العسكري نحو الأراضي البيزنطية لاستكمال رسالة دولة سلاجقة الروم بفتح الأراضي البيزنطية كافة، وإدخالها ضمن الأراضي الإسلامية، وشجعه على ذلك حالة الضعف التي دبت في جسم الإمبراطورية البيزنطية وأجهزتها، وانهماكها بالحروب في أوروبا، فأتاح له ذلك سهولة التوسع باتجاه غربي الأناضول، وفي عبور الدردنيل إلى أوروبا الشرقية الجنوبية .ومن الناحية الإدارية، فقد أظهر عثمان مقدرة فائقة في وضع النظم الإدارية لإمارته، بحيث قطع العثمانيون في عهده شوطا كبيرا على طريق التحول من نظام القبيلة المتنقلة إلى نظام الإدارة المستقرة، ما ساعدها على توطيد مركزها وتطورها سريعا إلى دولة كبرى[12]، وقد أبدى السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الثالث تقديره العميق لخدمات عثمان، فمنحه لقب "عثمان غازي حارس الحدود العالي الجاه، عثمان باشا"[13].

أقدم عثمان بعد أن ثبت أقدامه في إمارته على توسيع حدودها على حساب البيزنطيين، ففي عام1291 م فتح مدينة "قره جه حصار" الواقعة إلى الجنوب من سوغوت، وجعلها قاعدة له، وأمر بإقامة الخطبة باسمه، وهو أول مظهر من مظاهر السيادة والسلطة، ومنها قاد عشيرته إلى بحر مرمرة والبحر الأسود، وحين تغلب المغول على دولة قونية السلجوقية، سارع عثمان إلى إعلان استقلاله عن السلاجقة ولقب نفسه "باديشاه آل عثمان" أي عاهل آل عثمان، فكان بذلك المؤسس الحقيقي لهذه الدولة التركية الكبرى التي نسبت إليه لاحقا. وظل

---

(11) محمود السيد الدغيم، مرجع سابق.

(12) نواف أحمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص218.

(13) المرجع نفسه، ص218.

عثمان يحكم الدولة الجديدة بصفته سلطانا مستقلا حتى تاريخ 6 أبريل سنة1326 م، الموافق فيه 2 جمادى الأولى سنة726 هـ، عندما احتل ابنه" أورخان "مدينة بورصة الواقعة على مقربة من بحر مرمرة، وفي هذه السنة توفي عثمان عن عمر يناهز السبعين عاما، بعد أن وضع أسس الدولة ومهد لها درب النمو والازدهار، وخلع عليه لقب آخر هو "قره عثمان"، وهو يعني "عثمان الأسود "باللغة التركية الحديثة، لكن يقصد به "الشجاع" أو "الكبير" أو "العظيم" في التركية العثمانية (14).

الملحق المرفق رقم 03: صورة لعثمان خان الأول



السلطان الغازي أورخان الأول:

(14) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، KTAB INC، 2014، ص50 وما يليها.

أورخان بن عثمان (1288-1359م) ثاني سلاطين الدولة العثمانية. تولى السلطة بعد أبيه عثمان سنة 717هـ/ 1316م. كان ذا شخصية إدارية تنظيمية، قسم شؤون الدولة بين أخيه علاء الدين وولديه سليمان ومراد، وانصرف هو إلى الجهاد العسكري، وكان من أبرز مواقعه العسكرية هزيمته للإمبراطور اندرونيك الثالث (1318-1341م) في موقعة "مالدييه "سنة 720هـ /1319م، واستولى على نيقية سنة721 هـ/ 1320م، وتعرف الآن باسم برازنيق، وعلى نيقوميديا . بوابة الطريق إلى البوسفور، وذلك كان عام 718هـ/ 1317م. كما سيطر على ثغر غاليبولي ذي المركز الاستراتيجي المهم[15].

الملحق المرفق رقم 03: صورة للسلطان أورخان الأول



وصل إلى أحد أهم مفاتيح وأبواب أوروبا؛ بحر مرمرة . سنة 759هـ - 1357م، سيطر على شبه جزيرة بثينية في أقصى الشمال، وعلى قلعتي شمندرة وأيدوس، وهما بوابتا الطريق الحربي

(15) أحمد الشويخات وآخرون، مرجع سابق، أنظر مادة أورخان.

بين القسطنطينية ونيقوميديا. وتوسع على حساب الإمارات الصغيرة التي انقسمت إليها دولة السلاجقة في الأناضول[16].

أسست في عهد أورخان أول دار لسك النقود سنة 728هـ - 1328م، وحلت النقود العثمانية محل النقود السلجوقية. وأسس عام 721هـ-1320م فرق الإنكشارية، كما أسس مساجد ومدارس كثيرة، مات ودفن إلى جانب أبيه في بروسة.

عني أورخان بتنظيم مملكته تنظيما محكما، فقسمها إلى سناجق أو ولايات، وجعل من بورصة عاصمة لها، وضرب النقود باسمه، ونظم الجيش، فألف فرقا من الفرسان النظاميين، وأنشأ من الفتيان المسيحيين الروم والأوروبيين الذين جمعهم من مختلف الأنحاء جيشا قويا عرف بجيش الانكشارية. وقد درب أورخان هؤلاء الفتيان تدريبا صارما وخصهم بامتيازات كبيرة، فتعلقوا بشخصه وأظهروا له الولاء. وعمل أورخان على توسيع الدولة، فكان طبيعيا أن ينشأ بينه وبين البيزنطيين صراعٌ عنيف كان من نتيجته استيلاؤه على مدينتي إزمير[17]ونيقية [18]، وفي عام1337 م شن هجوما على القسطنطينية عاصمة البيزنطيين نفسها، ولكنه أخفق في احتلالها.

ومع ذلك فقد أوقعت هذه الغزوة الرعب في قلب إمبراطور الروم "أندرونيقوس الثالث"، فسعى إلى التحالف معه وزوجه ابنته. ولكن هذا الزواج لم يحل بين العثمانيين وبين الاندفاع إلى الأمام، وتثبيت أقدامهم سنة 1357 م في شبه جزيرة غاليبولي، وهكذا اشتد الخطر العثماني على القسطنطينية من جديد. شهد المسلمون في عهد أورخان أول استقرار للعثمانيين في أوروبا، وأصبحت الدولة العثمانية تمتد من أسوار أنقرة في آسيا

---

[16] المرجع نفسه.

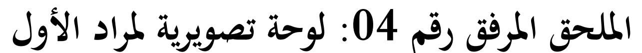
[17]إزمير هي الميناء الرئيسي لدولة تركيا في جزئها الآسيوي. كانت إزمير تحظى بمكانة العاصمة حيث بلغ عدد سكانها في عام 2004 حوالي 4,061,000 نسمة، إزمير هي مدينة مجاورة لشاطئ خليج إزمير، الذي هو امتداد لبحر إيجة.

[18]هي مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي للأناضول على بحر مرمرة تسمي إزنيق حديثا، اشتهرت بأهميتها في تاريخ المسيحية لوقوع مجمع نيقية بها والذي ينصب إليه معظم العقائد المسيحية مثل قانون الإيمان النيقي.

الصغرى إلى تراقيا في البلقان، وشرع المبشرون يدعون السكان إلى اعتناق الإسلام .توفي أورخان الأول في سنة 1360 م بعد أن أيد الدولة الفتية بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة، وتولى بعده ابنه "مراد الله"، الملقب بمراد الأول .

مراد الأول (؟ – 791هـ، ؟ – 1388م):

السلطان مراد الأول بن السلطان أورخان بن عثمان الأول بن أرطغرل، ثالث سلاطين الدولة العثمانية، تولى السلطة بعد والده أورخان عام 762هـ، 1360م، مضى في سياسة الفتح الإسلامي في أوروبا وآسيا الصغرى في وقت واحد. استولى على أدرنة سنة 762هـ، 1360م، وهي المدينة الثانية بعد القسطنطينية من حيث الأهمية في الدولة البيزنطية، واتخذها عاصمة له سنة768 هـ، 1366م. وانطلق بجيشه في أقاليم مقدونيا، فاستولى على قاردار وأسكي زاجرا، ويني زاجرا وقيليبوبوليس وغيرها. ودانت له جميع أجزاء تراقيا تقريبا.



الملحق المرفق رقم 04: لوحة تصويرية لمراد الأول



تحركت أوروبا ضده فدعا البابا أوربان الخامس (764 – 772هـ، 1362 – 1370م) إلى حرب ضد العثمانيين، ولم يستجب له سوى المجر وحكام شبه جزيرة البلقان وبخاصة الصرب

والبلغار، لقربهم من الخطر. والتقى الجمعان قرب تشيرمن على نهر ماريتزا، فانهزم الحلفاء، وفر الأميران الصربيان وغرقا في النهر، ونجا ملك المجر بأعجوبة.

أتاح هذا الانتصار للعثمانيين استكمال فتح إقليم تراقيا ومقدونيا، ووصلوا إلى جنوبي بلغاريا وشرقي صربيا. وتكون حلف بلقاني جديد عام 789هـ، 1387م بزعامة لازار ملك الصرب، لصد العثمانيين، وهزم العثمانيين في معركة بلوشنيك عام 789هـ، 1387م، حينما كان مراد غائبا في آسيا الصغرى فزحف إلى أوروبا، والتقى بالحلف في معركة قوصوة الأولى المشهورة، وهزم الحلفاء، واستولى على بلاد الصرب، التي دخلت منذ ذلك الوقت في الإسلام. غدر به جندي صربي جريح، فقتله، فقتل العثمانيون كثيرين منهم بمن فيهم لازار، ثأرا لمقتل سلطانهم مراد[19].

كانت فاتحة أعمال مراد الأول احتلال مدينة أنقرة مقر إمارة القرمان، وذلك أن أميرها واسمه علاء الدين، أراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان أورخان إلى ابنه مراد لإثارة حمية الأمراء المجاورين وتحريضهم على قتال العثمانيين ليقوضوا أركان ملكهم الآخذ في الامتداد يوما فيوما، فكانت عاقبة دسائسه أن فقد أهم مدنه[20]. وتحالف مراد مع بعض أمراء الأناضول مقابل بعض التنازلات لصالح العثمانيين، وأجبر آخرين على التنازل له عن ممتلكاتهم، وبذلك ضم جزء من الممتلكات التركمانية إلى الدولة العثماني، ثم وجه اهتمامه نحو شبه جزيرة البلقان التي كانت في ذلك الحين مسرحا لتناحر دائم بين مجموعة من الأمراء الثانويين، ففتح مدينة أدرنة سنة 1362م ونقل مركز العاصمة إليها لتكون نقطة التحرك والجهاد في أوروبا، وقد ظلت عاصمة للعثمانيين حتى فتحوا القسطنطينية في وقت لاحق، كما تم فتح عدة مدن أخرى مثل صوفيا وسالونيك، وبذلك صارت القسطنطينية محاطة بالعثمانيين من كل جهة في أوروبا، وفي 12 يونيو سنة1385 م، الموافق فيه 19 جمادى الآخرة سنة791 هـ، التقت الجيوش العثمانية بالقوى الصربية – تساندها قوى من المجر والبلغار والألبانيين – في إقليم" قوصوة"، المعروف حاليا باسم" كوسوڤو"، فدارت بين الطرفين معركة

[19] أحمد الشويخات وآخرون، مرجع سابق، أنظر مادة مراد الأول.

[20] محمد فريد بك، مرجع سابق.

عنيفة انتصر فيها العثمانيون[21]، إلا أن السلطان قتل في نهايتها على يد أحد الجنود الذي تظاهر بالموت[22].

بايزيد الأول (748– 805هـ، 1347– 1402م):

اتفق أركان الدولة من أعيان وقادة عسكريين على تولية السلطان بايزيد الأول، الذي كان له أخ أصغر منه يسمى يعقوب، هذا الأخير له شجاعة فائقة وإقدام منقطع النظير، مع علو الهمة والطموح العالي، فشكل يعقوب خطرا على وحدة البلاد، في حال ادعى الملك لنفسه وشق عصى الطاعة على إخوته، فحيكت ضده مؤامرة قادها رجالات الدولة النافذين في ذلك الوقت، وقيل أن قتله كان انطلاقا من فتوى شرعية صدرت عن بعض علماء الوقت حينها على اعتبار أن الفتنة التي سوف يحدثها خروجه عن الطاعة أشد من قتله والتخلص منه[23].

يعتبر بايزيد الأول رابع السلاطين العثمانيين، وقد ولقب بالصاعقة لشجاعته وسرعة تحركه للانقضاض على أعداءه، خلف والده السلطان مرادا الأول في الحكم عام (791هـ، 1388م)، وواصل على منوال سياسته في الغزو والتوسع الإقليمي في الجبهتين الأناضولية والبلقانية في آن واحد، ومن أجل تحقيق هذا الهدف؛ رأى أن يقيم علاقات ودية مع ما تبقى من دولة الصرب، لتكون الصرب حاجزا بينه وبين دولة المجر، وليؤمن ظهره حين التوسع في آسيا الصغرى، فعقد هدنة من حاكم الصرب على أن تقدم له جزية سنوية وعددا معينا من الجنود، كما أقدم على مصاهرة البيت الحاكم في الصرب، وبهذه السياسات المتراوحة بين الغزو

---

(21) رائد سامي حميد موسى الدوري، الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الأول 760-791هـ/1359-1389م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، 2011، ص 105 وما يليها.

(22) محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، تعريب عبد الله المخلص، المطبعة الوطنية، حيفا، 1909، ص04.

(23) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص137.

والفتوحات وبين ربط العلاقات؛ وصلت دولته إلى بحر إيجه، كما أطل على البحر الأبيض المتوسط وكذا البحر الأسْود(24).



الملحق المرفق رقم 05: لوحة فنية للسلطان بايزيد الأول



من أهم الأعمال التي تنسب إليه؛ أنه تمكن من أخذ موافقة السلطان العباسي في مصر على اعتماده سلطانا، كما سقطت في يده مدينة تيرنوفو البلغارية، وأعدم ملك بلغاريا عام (796هـ، 1393م)، وبذلك أنهى استقلال بلغاريا، وأسلم سيشمان ابن الملك البلغاري، فعينه بايزيد في منصب إداري كبير في إحدى مدن الأناضول.

أحدث سقوط بلغاريا دويا هائلا في أوروبا؛ فدعا سيجسموند ملك المجر والبابا بونفيس التاسع (792 - 807هـ، 1389-1404م)، إلى تأسيس أكبر حلف أوروبي لمواجهة العثمانيين في القرن الثامن الهجري . الرابع عشر الميلادي، وزحفت قوات الحلف الصليبي حتى

(24) أحمد الشويخات وأخرون، مرجع سابق، أنظر مادة بايزيد الصاعقة.

التقت بجيش بايزيد في معركة نيكوبوليس عام 798هـ، 1396م، فتمكن بايزيد والقوة العثمانية من دحرهم، كما واصل بايزيد فتوحاته متوجها الى القسطنطينية هذه المرة ليضرب عليها حصارا طويلا، غير أنه رفعه عندما علم بتقدم المغول تجاه آسيا الصغرى بقيادة تيمور لنك، ولهذا وقع معاهدة مع حاكم القسطنطينية في شكل صلح مؤقت ليرفع بايزيد الحصار على المدينة مقابل دفعها لعشرة آلاف عملة مسكوكة ذهبية سنويا، وأن يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا لإقامة شعائرهم الدينية، وإقامة محكمة شرعية للنظر في قضايا المسلمين من أهل المدينة وكذا الرعايا المسلمين[25]، وفي الأخير التقى بايزيد بالمغول في معركة أنقرة عام (805هـ، 1402م)، فهزموه وأسروه، ومات في الأَسْر، في تفاصيل سنتعرض لها في المحاضرة الموالية.

نتائج الغزو التتري على البلاد العربية:

كان تيمور لنك يحكم دولةَ التتار في وسط آسيا وبلاد الفرس، واستطاعَ أن يوسعَ دائرةَ ملكه، فاستولى على بلاد الأفغان والهند في الشرق، ثم اتجه غربا فاستولى على جورجيا وأرمينيا وكردستان، وأصبح وجها لوجهٍ أمام دولتي المماليك والعثمانيين، وقد اجتاح كثيرا من مدن الشام، حتى دخل حلب ودمشق سنة (802هـ/ 1401م، ووصل إلى بغداد في سنة 1402م، ومنها إلى سهول أنقرة سنة[26].



الملحق المرفق رقم 06: منمنمة تيمورلنك في معركة أنقرة



---

[25] محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص144.

[26] أحمد الشويخات، مرجع سابق، أنظر مادة: تيمورلنك.

وكان اللقاء الكبير بين القوتين المعروفتين بالشدة والبأس، وتلاحمت الصفوف وتقارعت السيوف، واستمر القتال، وتساقطَ الأبطال، واستبسلَ السلطان بايزيد نهارا بأكمله أو يزيد، من مشرق الشمس إلى مغربها، غير أن الدائرة دارت عليه وانضم من معه من أصولٍ تترية، وبعض الإمارات التركية التي أذعنتْ لطاعته حديثا إلى صفوف عدوه تيمور، وإذا برحى الحرب عليه تدور، واستشهد ابنه مصطفى حلبي، ولاذ بعض رجاله بالفرار، وبقي في المعركة فردا، ولم يكن من وقوعه في الأسر بد، وسيق إلى سمرقند مكبلا، وبقي فيها حتى مات كمدا، ثم نقلت جثته إلى بروسة؛ حيث دفن بجوار قبر أبيه[27].

وكان من نتائج هزيمة "أنقرة "هذه أن فقَد العثمانيون معظمَ قوتهم العسكرية، وانكمشوا حينا، وفرتْ كثيرٌ من العائلات التركية من المناطق الآسيوية إلى المناطق الأوربية خوفا من التتار، حتى أصبحَ عدد الأتراك بأوروبا أكثر من الأناضول، وساعدَ ذلك على انتشار الإسلام في هذه المناطق، وتوقفتْ خطط العثمانيين للتوسع في أوربا، وأصبحت القسطنطينية في مأمنٍ من هجماتهم، وتأخرَ سقوطها حوالي نصف قرن[28].

وابتهج العالَم الأوربي المسيحي بما نال العثمانيين، وهللوا لانتصار التتار، حتى إن بعضَ ملوك أوربا – مثل هنري الرابع ملك إنجلترا – أرسلوا إلى تيمور لنك يدعونَه إلى التحول عن الإسلام واعتناق النصرانية، على أن يعترفوا به زعيما للعالم المسيحي.

وفقد العثمانيون معظمَ ممتلكاتهم في آسيا، واستقلت البلغار والصرب في أوربا، وأمر الإمبراطور البيزنطي بهدم المساجد التي بنيتْ في القسطنطينية، وطرد أئمتها وعلمائها ورعايا العثمانيين الموجودين هناك.

وقد توفي تيمور عقب ذلك في "أورناوة "ببلاد التركستان في السابع عشر من شعبان سنة (807هـ/ 19 من فبراير سنة 1405م)، ووقع الخلاف بين أبنائه، ومن ثَم نجح السلطان

---

(27) محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص147.

(28) طالب محيبس حسن الوائلي، "هزيمة العثمانيين في أنقرة، دراسة في مقدمات الصدام التتاري"، مجلة كلية التربية، العدد 04، ص144.

العثماني محمد الأول بن بايزيد (805 - 824هـ/ 1402 - 1421م) أن يتغلب على المشكلات الداخلية، ويسترد كل ما فقدته دولته أمام غزو المغول، واتخذَ من مدينة أدرنة عاصمة له، وتمكنَ من إخضاع بلغاريا وصربيا من جديد، وبذلك محا كل أثرٍ لهزيمة أنقرة، وتمكنَ من توحيد دولته من جديد.

وواصل سياسيته ابنه مراد الثاني (824 -855 هـ/ 1421 - 1451م) فركز اهتمامَه على بناء جيشٍ قوي واقتصادٍ سليم، وتأمين المناطق الحدودية.

وشرع السلطان مراد الثاني في استحداث فرقٍ عسكرية من نوعٍ خاص، معدة إعدادا جيدا للقتال؛ عرفت بفرق "الإنكشارية "لتكونَ معتمدة في تحقيق أهدافه التوسعية الطموحة في البلقان، وفي مواجهة مخططات إمبراطور القسطنطينية ومكائده؛ إذ كان يساعد المتمردين والثائرين ضد السلطان.

الملحق المرفق رقم 07: صورة لأحد الجنود الانكشارية



وضرب السلطان حصارا قويا حول القسطنطنية لشل حركتها وإضعافها، ثم اتجه إلى ألبانيا والمجر، وتمكن من الاستيلاء على الشطر الجنوبي من ألبانيا، أما الشطر الشمالي منها فقد واجه فيه مقاومة عنيدة، وتكبدتْ جيوشه خسائرَ كبيرة؛ نظرا لطبيعة المنطقة الجبلية الوعرة، وتعرضَ جنوده لحرب العصابات، ومؤازرة البندقية للألبان بالإمدادات عن طريق البحر.

وفي المجر واجه السلطان تحالفا صليبيا من البابا "يوجين "الرابع، وعديدٍ من الدول من بينهم الإمبراطورية البيزنطية، فتمكنوا من إلحاق الهزيمة به في موقعة "نيش "سنة (847هـ/ 1443م)، ولكن عينَ السلطان لم تقر حتى ثأرَ لهزيمته في العام التالي في موقعة "وارنة"؛ وهي ميناء بلغاري يقع على البحر الأسود، وفقدت المجر زهرةَ شبابها وخيرةَ فرسانها، وعجزتْ بعدها عن القيام بأي عملٍ حربي، ويئست القوى الصليبية من التحالف ضد العثمانيين، ولم يجتمعْ بعد ذلك في حربٍ مشتركة ضدهم.

تذكر المصادر التاريخية أن موت بايزيد الأول قد أحدث فوضى عارمة في البلاد، إلى درجة أن الدولة ذاتها تجزأت في عدة دويلات وإمارات صغيرة، كما حصل لدولة السلاجقة حين استقلت الأتابكيات وشكلت حكم الإمارات، وذلك نتيجة لسياسة تيمورلنك الذي أقر حكم الولاة في الدولة العثمانية، بشرط أن تبقى تبعيتهم له، أما على الجبهة الأوروبية؛ فقد استقل كل من الصرب والبلغار، كما أ بناء بايزيد اختلفوا فيما بينهم بخصوص تعيين من يخلفه للجلوس على العرش، فمثلا قام ابنه سليمان بتنصيب نفسه ملكا وقدمه أهل أدرنة وجعلوه سلطانا، بينما محمد بن بايزيد؛ فقد واصل قتاله لتيمورلنك في جبال الاناضول وادعى لنفسه في مدينتي توقات وأماسيا، بينما الابن الثالث عيسى؛ فقد جمع من كان معه من الجنود في مدينة بورصة وعمل على استرجاع جثة أبيه من أجل دفنها مقابل الكثير من التنازلات لصالح تيمورلنك[29].

قام محمد الأول بن بايزيد بمحاربة إخوته وجمع كلمة المسلمين في الدولة العثمانية، ليخلفه ابنه مراد الأول، الذي خلفه ابن محمد الثاني الملقب بالفاتح.

[29] محمد فريد بك المحامي، مرجع سابق، ص148.